محاضرة رقم ٢	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	علوم القرآن والتربية الاسلامية
المادة باللغة الانجليزية	Islamic thought
المادة باللغة العربية	الفكر الاسلامي
المرحلة	الثانية
اسم التدريسي	م.د. اركان خضير عباس
عنوان المحاضرة باللغة الانجليزية	Islamic thought, its authority and sources
عنوان المحاضرة باللغة العربية	الفكر الإسلامي حجيته ومصادره
رقم المحاضرة	٢
المصادر والمراجع	الفكر الإسلامي تقويمه وتجديده
	الموسوعة الإسلامية للفرق والديانات

محتوى المحاضرة

حجية الفكر الاسلامي:

التفكير أهم مظهر من مظاهر وجود الإنسان، وهو الذي أعطاه المرتبة العلية التي تميزه عن عالم الحيوان فبالتفكير يواجه الإنسان كل ما حوله ليكتشف فيه ما يساعده على التكيف والبقاء وإنشاء الحضارة. ولقد جعل الله الإنسان خليفته في الأرض وحمله الأمانة الكبرى من أجل أن يحقق مسؤوليته من خلال التفكير، ويقوم بالتكاليف التي فرضت عليه ضمنا عند قبوله تلك الأمانة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالجَبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (الأحزاب: (٧٢).

فالتفكير إذن فطرة، والإسلام دين الفطرة، فلا يرفضه، بل يدعو دائما إلى استعماله وعدم تعطيل طاقته وفسح المجال الواسع أمامه، وليس هنالك كتاب سماوي أو غير سماوي، طلب من الإنسان أن يحرك طاقته الفكرية وشجعه على استعمالها كالقرآن الكريم في مئات من آياته بصور متنوعة، تدفع إلى التفكير العميق في مصير الكون والحياة والإنسان .. وما أكثر ما نجد في القرآن الكريم الآية (وإن في ذلك لآياتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (الرعد: ٤) ولقد وردت مادة التفكير واشتقاقاته في القرآن الكريم كثيرا، منها قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران: ١٩١). أما دعوته الإنسان إلى النظر في مظاهر الوجود، فوجوهها كثيرة ومتنوعة قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الإبل كيف خلقت وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَت وإلى الجبالِ كَيْفَ

نَصَبَت وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مذكرة (الغاشية : (١٧)، وقال تعالى : قُل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (العنكبوت: ٢٠). ودعا إلى مرحلة التدبر في التعقل، وهي مرحلة عالية فقال تعالى: ﴿أفلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (محمد: (٢٤). وأما الرسول الكريم فقد حول هذا الاتجاه القرآني الصريح إلى واقع عملي شجع فيه المسلمين على الاجتهاد العقلي والتدبر والتفقه في شؤون الحياة كافة

وفرق بوضوح بين الوحي الإلهي والتفكير الإنساني وأدرك الصحابة الكرام ذلك، فكانوا كثيرا ما يقفون أمام الرسول الكريم فيسألونه فيما إذا كان الذي يعرضه عليهم وحيا إلهيا أم رأيا رآه؟ فإذا أخبرهم أن ذلك كان منه اجتهادا وتفكيرا، فكروا بدورهم وعرضوا آراءهم أمامه صلى الله عليه وسلم، كما حدث قبيل معركة بدر من مشاورة أصحابه ونزوله عند رأي الحباب بن المنذر الذي قال:

"يا رسول الله: أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال: يا رسول الله، فان هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أشرت بالرأي".

وكذلك حدث عندما شاور أصحابه قبيل معركة أحد والخندق وفي قضية تخصيص ثلث ثمار المدينة لغطفان، ورفض ذلك فيما بعد بناءا على اقتناع الرسول الكريم برأي السعدين، ابن عبادة وابن معاذ رضي الله تعالى عنهما.

وأقر رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتهادهم في أمور الدين كإقراره صحابته على الاجتهاد في أراء صلاة العصر أو تأجيلها لحين الوصول إلى أرض بني قريضة عندما قال لهم من كان سامعا مطيعاً فلا يصلين العصر الا في بني قريضة ".

وسأل معاذ بن جبل فقال: كيف تقضي إذا عرضت لك قضاء؟ فقال : قضيت بكتاب الله قال ولم تجد في كتاب الله. قال : بسنة رسول الله .

قال فان لم تجد في سنة رسول الله قال: اجتهد ولا آلوا ، ففرح رسول الله ﷺ لذلك فقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٠)

وأدرك العلماء من الصحابة والتابعين وتابعيهم هذه الحقيقة الإسلامية الصريحة فعدوا الاجتهاد العقلي بضوابطه الشرعية إصلا من أصول الشريعة. مثال على ذلك القياس والاستحسان وتحقيق المصالح وسد الذرائع ورفع الضرر وما إلى ذلك من وجوه الاجتهاد الاخرى.

ويكاد العلماء يجمعون على القول بحجية العقل في مجاله، قال الامام الشافعي رحمه الله : إن الله تعالى جل ثناؤه من على العبادة بعقولهم فدلهم بها على الفرق بين المختلف وهداهم السبيل إلى الحق نصا ودلالة (١١) .

وناقش الفقيه الاندلسي ابن حزم رحمه الله، حجج الذين ابطلوا العقل فردهم ردا علميا حاسما، واليك بعض مما قال :.

- واحتج من ابطلوا حجة العقل بأنه قد يرى الإنسان يعتقد الشيء ويجادل عنه ولا يشك في أنه حق. ثم يلوح له غير ذلك . فلو كانت حجج العقول صادقة لما تغيرت ادلتها. وقال ابن حزم هذا تمويه فاسد، ولا حجة لهم على مثبتي حجج العقول في رجوع من رجع عن مذهب كان يعتقده ويناضل عنه. لاننا لم نقل: ان كل معتقد لمذهب فهو محق فيه ولا قلنا ان كل ما استدل به مستدل على مذهبه فهو حق. ولو قلنا ذلك لفارقنا حكم العقول. ولكن قلنا ان من الاستدلال ما يؤدي الى مذهب صحيح اذا كان الاستدلال مرتبا ترتيبا قويما على ما قد بيناه واحكمناه غاية الاحكام في كتاب التقريب (كتاب له في المنطق) وقد يوقع الاستدلال اذا كان فاسدا على مذهب فاسد، وذلك اذا خولف به طريق الاستدلال الصحيح .

- واحتجوا ايضا فقالوا : بأي شيء عرفتم صحة حجة العقل ؟ ابحجة عقل ام بغير ذلك؟ فأن قلتم عرفناها بحجة العقل ، ففي ذلك نازعناكم، وإذا قلتم بغير ذلك فهاتوه .

والجواب على ذلك وبالله التوفيق، أن صحة ما أوجبه العقل عرفناه بلا واسطة ولا زمان، ولم يكن بين أول اوقات فهمنا وبين معرفتنا بذلك مهلة البتة، ففي اول اوقات فهمنا علمنا أن الكل أكثر من الجزء وان كل شخص فهو غير الآخر، وان الشيء لا يكون قائما قاعداً في حال واحدة، وان الطويل أمد من القصير، وبهذه القوة عرفنا صحة ما يوجبه القياس (١٢) .

وقد خطأ ابن تيمية رحمه الله أولئك الذين يقدحون في الدلائل العقلية مطلقا لأنهم يتصورون انها الكلام المبتدع الذي أحدثه من احدثه من المتكلمين والفلاسفة (١) .

مصادره :

الأول : القرآن والسنة.

لاشك أن المصدرين الأساسيين للفكر الإسلامي هما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وما وصف الفكر الاسلامي بانه اسلامي الا لانه انطلاق من ذينك المصدرين الالهيين .

ولو تأملنا القرآن الكريم فوجدناه يفتح المجال الواسع لحركة العقل الإنساني ، ويظهر هذا لنا واضحا عندما نجد انه لا يقدم نصوصا قاطعة في كثير من المسائل ، بل تأتي تلك النصوص مرنه او عامة أو ذات مقاصد كلية. وهذا الواقع القرآني وبحانيه السنة النبوية الشريفة، دفع علماء الإسلام الى اعمال فكرهم في مجالين

أولهما : في مجال الاجتهاد في تفسير القضايا التي لم تقرر بنصوص قاطعة، لا في الكتاب ولا في السنة.

ثانيهما : في مجال الاجتهاد في القضايا والمسائل التي لم يتطرقا اليه البتة .

ففي مجال العقائد الاسلامية الذي عرضها القرآن والسنة. قام الفكر الاسلامي بمحاولة فك البراهين القرآنية اليقينية، وبنائها على مقدمات عقلية ، وقام كذلك باستعمال قوانين المنطق في تفنيد العقائد والمباديء التي كانت تخالف العقائد الإسلامية . ولم يخف على العقلية الاسلامية الاصيلة، تلكم

المحاولات المنحرفة التي حاولت جر الاسلام كي يوافق الفلسفات الاجنبية التي كانت قد غزت المجتمع الاسلامي بعد القرن الثاني الهجري.

وأما في مجال التشريع العملي فقد استطاع الفكر الاسلامي منطلقا من مبادى، وقواعد الشريعة الاسلامية ان يواجه احداث الحياة المتغيرة فيضع لها من الانظمة التفصيلية والاحكام الاجتهادية الكثيرة والحلول الناجعة المبدعة التي اقامت الحياة الحضارية الاسلامية في تفاصيلها الدقيقة. فسببت بذلك رقيا شاملا في المجتمع الاسلامي ادى الى رفع مستوى الإنسان المسلم المادي والمعنوي .

الثاني : الحضارات الاجنبية :

لم يعاد الاسلام التوسع في المعرفة الإنسانية، بل حث اتباعه كما مر بنا ، على البحث والنظر ومعرفة التاريخ والعلم والاعتبار بالأمم والايام واخذ الحكمة من اي وعاء خرجت ، لان الكلمة (الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو احق الناس، كما ثبت ذلك في الحديث النبوي الشريف (١)) ومن هذا المبدأ انطلق المسلمون إلى الأخذ باسباب الحضارة الإنسانية والاستفادة منها في بناء حياتهم وتطوير مجتمعهم. غير انهم بقدر ما استفادوا من العلوم الرياضية والطبية والحيوية وغيرها من المعارف المفيدة التي نقلوها وطوروها وأنشأوا حضارتهم الزاهرة في ظلها، تضرروا من الثقافات الاجنبية، لانها كانت في اصولها وثنية منحرفة غاية

الانحراف في نظرتها الى الوجود والحياة والانسان .